



مؤسسة الأغا خان للثقافة

برنامج المدن التاريخية



إعادة إحياء القلاع في سورية

ملخص حول المشروع

2008

برنامج الحفاظ على القلاع

تفتخر سورية بامتلاكها مجموعة مذهلة من المواقع الأثرية التي يعود تاريخ بعضها إلى الألف الثامن قبل الميلاد، غير أن التراث الغني يمكن له أيضاً أن يكون عبئاً عندما تواجه الحكومات معضلة تكاليف الترميم والحفاظ الكبيرة. ففي عام ١٩٩٩، طلبت الحكومة السورية من مؤسسة الأغا خان للثقافة المساعدة في ترميم ثلاث قلاع وهي قلعة صلاح الدين، وقلعة مصياف، وقلعة حلب. وتشتهر المؤسسة التي أسسها صاحب السمو الأغا خان في العام ١٩٨٨ بأنها واحدة من أبرز المؤسسات العاملة في مجال الحفاظ على المواقع التاريخية في العالم. كما أن مؤسسة الأغا خان للثقافة تعمل في عدد من المواقع في العالم الإسلامي من القاهرة إلى مالي ومن أفغانستان إلى زنجبار وذلك من أجل تحقيق التوازن المناسب بين تطوير السياحة والحفاظ على المواقع وكذلك بين التنمية وحماية الثقافة.

وبناء عليه فقد تم التوقيع على اتفاقية تعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية عام ١٩٩٩. وانسجماً مع المقاربة التي تتبناها مؤسسة الأغا خان للثقافة في تنمية المناطق والتي تطبقها في مصر وباكستان وأماكن أخرى من العالم، تعمل المؤسسة بموجب هذه الاتفاقية أيضاً على تحسين المناطق المحيطة بالقلاع.

خلال المرحلة الأولى من الشراكة، تركّز العمل على ثلاثة مجالات رئيسية: وهي الحفاظ على القلاع؛ وتدريب موظفي الآثار والحرفيين المحليين وبناء القدرات الاحترافية من خلال الممارسات الحديثة (أثناء تنفيذ مشاريع الحفاظ على المواقع)؛ وتطوير خطط إعادة استخدام القلاع، بما في ذلك أنظمة الإدارة والاستثمار السياحي في البنية التحتية للزوار مثل مراكز الزوار والممرات وإشارات الدلالة، إلخ.

وفي حين تنوّع نطاق أعمال الحفاظ في كل موقع من المواقع المذكورة، إلا أنه قد جرى ربط أعمال الحفاظ في كل واحد منها بشكل وثيق مع تأمين التنمية الاجتماعية والاقتصادية، لاسيما من خلال إنشاء بنية تحتية سياحية مناسبة ثقافياً وبيئياً، كما هي الحال في المواقع الأخرى في العالم الإسلامي حيث تعمل مؤسسة الأغا خان للثقافة.

وقد جرى استكمال المرحلة الأولى بنجاح عام ٢٠٠٧. وفي شهر أيار/مايو ٢٠٠٨ تم استكمال أعمال تحضير «مراكز الزوار» في القلاع الثلاث. كما تمّ الانتهاء من تحضير دليل الصيانة في كل قلعة على حدى. وفي عام ٢٠٠٧، نشر كتاب بعنوان «قلاع القرون الوسطى في سورية بين الشرق والغرب» وكذلك دليل لقلعة حلب. وفي عام ٢٠٠٨، جرى طباعة دليلين لقلعتي مصياف وصلاح الدين.

قلعة حلب

في العام ٢٠٠٠، بدأت مؤسسة الأغا خان للثقافة مشروعاً للحفاظ على قلعة حلب مركزاً على ثلاثة عناصر مترابطة تاريخياً وعمرانياً. حيث تضمّنت تلك العناصر الجدران الخارجية والداخلية للقلعة ومجمّع القصر الأيوبي الذي يمثّل بأرضياته الرخامية الفسيفسائية الجميلة ومدخله المنقوش بآيات قرآنية صريحاً أساسياً لفن العمارة الإسلامية.

وفي أثناء استكمال مؤسسة الأغا خان للثقافة لأعمال إعادة تأهيل أقسام من جدران القلعة وعدد من الأبراج والمجمّع الأيوبي في عام ٢٠٠٧، كشفت المؤسسة مناطق واسعة من البنى العثمانية وحافظت عليها. كما قامت بترميم التكنة العثمانية، حيث جرى تطويرها لتستخدم كمركز للزوار يتضمّن كافيتيريا وغرفة لعرض فيلم يشرح تاريخ القلعة. كما استكملت مؤسسة الأغا خان للثقافة ممرات السياح وإشارات الدلالة. وعملت على ترميم الخزان والساتورة الأيوبيين وتأثيث متحف جديد في مستودع السلاح والبرج ٤٢. ورغم أن مؤسسة الأغا خان للثقافة قد مولت معظم المشروع، إلا أن صندوق الأوابد العالمية (World Monuments Fund) قد مول بعض مشاريع الحفاظ.



قلعة حلب، حيث قامت مؤسسة الأغا خان للثقافة بإعادة تأهيل الأسوار وعدد من الأبراج ومجمّع القصر الأيوبي.

قلعة مصياف

تعد قلعة مصياف هي الأصغر والأقل شهرةً بين المواقع الثلاثة. وهي تتموضع على حافة بلدة مصياف القديمة، ضمن بيئة طبيعية خلابة على سفوح سلسلة الجبال الساحلية. ورغم أن إنشاءها يكشف عناصر تعود إلى العهد البيزنطي وعهود أخرى، إلا أن الكثير مما تبقى قد بُني في ظل حكم سنان راشد الدين في القرن الثاني عشر الميلادي.

وعندما بدأت مؤسسة الأغا خان للثقافة الترميم، كان الجزء الأساسي الأعلى للقلعة سليماً إلى حد كبير، على الرغم من الأذى الذي لحق به نتيجة الهجمات المسلحة والزلازل. وفي العصر الحديث، استخدم سكان البلدة القلعة كمكان للإقامة وتربية الماعز. وقد طرحت البيوت العشوائية المبنية في الطريق إلى القلعة عدة تحديات، و بعد ذلك تم تقسيم المنطقة إلى قطاعات وحل النزاعات القائمة على استخدام الأراضي وعمليات الإنشاء غير المنظمة ومسألة ما ينبغي الحفاظ عليه وكيفية القيام بذلك.

وقد بدأت مؤسسة الأغا خان للثقافة ترميم القلعة في العام ٢٠٠٠ وذلك في قسم من السور الخارجي المنهار جزئياً. و لذلك فقد كان من الضروري إعادة بناء جزء من السور لجعله سليماً من الناحية الإنشائية، باستخدام حجارة مطابقة للأصل أخذت من مقلع قريب. وفي مطلع العام ٢٠٠١، شرع بالعمل ببرنامج شامل لتعزيز وترميم البنية بأكملها، حيث تم وضعه بالتشاور الوثيق مع المديرية العامة للآثار والمتاحف. وقد انتهى العمل بالبرنامج خلال العام ٢٠٠٧.

ومن الناحية المادية، فقد اقتصر التدخل على أعمال الحفاظ الدقيقة، أي على تعزيز الأجزاء المتهدمة لوقف تدهورها، وعند الضرورة، تمت عمليات إعادة تعمير محدودة لتفادي خطر الانهيار. كما جرى تأمين حد أدنى من البنى التحتية للزوار لزيارتهم ضمن الموقع، بما في ذلك إشارات الدلالة ولوحات المعلومات والإضاءة وتحسين إمكانية الوصول للقلعة، حيث كان الهدف منها الحفاظ على السلامة الأساسية للموقع كمعلم أثري، مع مساعدة الزوار كي يستفيدوا أكثر ما يمكنهم من الزيارة.

وبالإضافة إلى الحفاظ على القلعة، عمل المشروع على تحسين السياق العمراني، بهدف الحفاظ على البقايا التاريخية لمدينة مصياف القديمة المتاخمة للقلعة وتحسينها، ورفع مستوى الأسواق ومناطق سير المشاة في مركز المدينة القديمة وإنشاء مرافق أكثر جذباً للزوار.

كما تم تنفيذ مشروع إعادة تأهيل السوق المحلية في المدينة والمسّمى «السوق الصغير» بالتعاون مع مالكي المتاجر والسلطات المحلية. وجرى تنفيذ عدد من مشاريع إعادة التأهيل الأخرى في المدينة لإقامة مجموعة فاعلة من النشاطات لتشجيع السياح على البقاء لفترة أطول في المدينة والتجول بداخلها.

وكما هو الحال في القاهرة وسمرقند ودلهي وزنجبار، فقد قامت مؤسسة الأغا خان للثقافة أيضاً بدعم وتحسين أنظمة البناء الحالية. وقد تعزز هذا الجهد من خلال منح مساعدة مجانية في التصميم للمالكي الأراضي ومالكي البيوت الذين ينوون التعمير في المنطقة المركزية. حيث جرى تحضير عدد من مشاريع إعادة التأهيل التجريبية للأبنية الحساسة بغية الترويج لتصاميم جديدة معدلة داخل المدينة.

وإضافة إلى ذلك، فقد جرى تطوير مفهوم إستراتيجي للتخطيط العمراني بغية حل المشاكل المتوقعة في استخدام الأراضي حول القلعة وللحيلولة دون التدي على القلعة - حيث أن الهدف من هذا الإجراء هو الحفاظ على ما يتوقع أن يكون محرّكاً اقتصادياً رئيسياً للمدينة في المستقبل.

قلعة صلاح الدين

تقع قلعة صلاح الدين في أعالي سلسلة الجبال الساحلية على بعد ٢٤ كيلومتراً إلى الشرق من اللاذقية. وهي تقوم في محيط طبيعي خلّاب حيث تنتصب شامخة على قمة تلة بين واديين سحيقين محاطة بغابة. ويعود تاريخ القلعة كما هو حال العديد من المواقع في سورية إلى العهد الفينيقي



اقتصر العمل في قلعة مصياف على أعمال الحفاظ الدقيقة، أي تعزيز الأجزاء المتهدمة لوقف تدهورها، وعند الضرورة، تمت عمليات إعادة تعمير محدودة لتفادي خطر الانهيار. في حين اسنهدف العمل في «السوق الصغير» إعادة التأهيل العمراني في البلدة، من خلال القيام بإنشاءات جديدة بين الأبنية القائمة.

«إننا نتطلع إلى كيفية تحقيق نتائج اقتصادية من ترميم الأبنية التاريخية واستحضار معارف جديدة وخلق معارف جديدة والتي يمكن استخدامها عندئذ من قبل المجتمعات كي تتطور، وتتغير إيجابياً... ما أمل بتحقيقه هو مفهوم أن هذه المواقع التاريخية هي محرّكات اقتصادية واجتماعية ذات طاقة كامنة. هي ليست مجرد ممتلكات تاريخية جامدة مشلولة، بل ممتلكات يمكنها أن تقدم إسهامات إلى نوعية حياة الناس الذين يعيشون في تلك الأماكن.»

صاحب السمو الأغا خان،

كوالالمبور، ماليزيا، ٢٠٠٧

(مطلع الألف الأول قبل الميلاد). ومعظم ما بقي مشاهداً منها اليوم يعود تاريخه إلى أيام الصليبيين الذين احتلوا الموقع حوالي سنة ١١٠٠ ميلادية. أما الأسوار الصليبية فقد صدعتها جيوش صلاح الدين في شهر تموز/ يوليو من العام ١١٨٨. وتحمل القلعة اسمها الحالي نسبةً لذلك الانتصار. وعلى مدار المئة عام التي أعقبت ذلك، قام الحكام المسلمون ببناء جامع وقصرٍ منيفٍ وحمامات في وسط مجمع القلعة إضافة إلى إضاءة مدرسة.

إن هذه الأقسام الأيوبية والملوكية هي التي وقع عليها اختيار مؤسسة الآغا خان للثقافة للقيام بأعمال الترميم فيها، حيث بدأت هذه الأعمال في العام ١٩٩٩ بمسح شامل للموقع. وفي العام ٢٠٠٠، بدأ بترميم الجامع ومئذنته والمدرسة المجاورة. وكان زلزالٌ مدمرٌ قد تسبب بتحطيم قمة المئذنة مما أدى إلى انهيارها جزئياً، وهكذا فقد قام فريق مؤسسة الآغا خان للثقافة ببذل جهد كبير لتوثيق موقع كل حجر، وقام ببطء بتفكيك القمّة ومن ثم إعادة بناء المئذنة باستخدام الحجارة الأصلية والحجارة الأخرى الموجودة في الموقع لتشكيل بنية مستقرة وثابتة.

كما تم معالجة عدة مشاكل في المدرسة والجامع. فكل البنائين كانا مستقرين إنشائياً، غير أن المراحل المتعاقبة من الإصلاحات الحديثة باستخدام مواد غير ملائمة كانت قد غيرت النسيج التاريخي وتسببت بإيذاته. وحيث كان الأمر مجدياً، جرت إزالة التداخلات الحديثة بعناية ومن ثم جرى إصلاح الجدران والسقوف والأسطح وتشطيبها باستخدام مواد وتقنيات مطابقة لتلك التي وظفها الحرفيون الأصليون في العصور الوسطى، بحيث بدت الأبنية ظاهرة دون ما يقلل من شأن طابعها التاريخي. وقد استكملت عملية الترميم بنجاح في خريف العام ٢٠٠٥.

مشروع محيط قلعة حلب

تتركز المرحلة الثانية من هذه المشاريع على العمل الذي استكمل بنجاح في المرحلة الأولى، كما أنها تربطه بالبيئة العمرانية الأوسع. بدأت المرحلة الثانية في العام ٢٠٠٦ وتركزت بصورة رئيسية على المركز العمراني لمدينة حلب في محيط قلعتها. وتضمنت المشاريع التي جرى تطويرها بتعاون وثيق مع مديرية المدينة القديمة في حلب تصميم الساحات المفتوحة حول مدخل القلعة وإنشاء منطقة للمشاة وإعادة تخطيط حركة المرور والإضاءة. واشتمل دور مؤسسة الآغا خان للثقافة في المشروع على هندسة المناظر الطبيعية في الساحات المفتوحة حول محيط القلعة، بما في ذلك ترميم جدران الخندق الخارجي المحيط بها. ويجري التخطيط حالياً لمشاريع اجتماعية للأحياء السكنية الفقيرة في المناطق المجاورة.

كما لعبت مؤسسة الآغا خان للثقافة أيضاً دوراً بارزاً في وضع مخطط تنظيمي وتحضير دراسات مفصلة لكامل منطقة محيط القلعة، وهو جهد قام به عدد من الشركاء بما في ذلك المجلس البلدي في حلب والوكالة الألمانية للتعاون التقني (GTZ).

وكما هي الحال في الأماكن الأخرى التي تعمل فيها مؤسسة الآغا خان للثقافة فقد تلقت المساعدة من وكالات أخرى في شبكة الآغا خان للتنمية. ففي حلب، قامت وكالة الآغا خان للقروض الصغيرة بتوفير القروض لإعادة تأهيل المساكن في المدينة القديمة منذ عام ٢٠٠٧ (كما تعمل وكالة الآغا خان للقروض الصغيرة مع برنامج القرى الصحية، وهي إحدى مبادرات الحكومة السورية، في أكثر من اثني عشرة قرية صحية في عفرين وإعزاز ومسكنة).

لمزيد من المعلومات حول شبكة الآغا خان للتنمية أو وكالاتها، يرجى زيارة الموقع التالي على شبكة الإنترنت:

www.akdn.org



ترميم المسجد والقصر في قلعة صلاح الدين، وهما مشروعان قامت بهما مؤسسة الآغا خان للثقافة باستخدام مواد وتقنيات مطابقة لتلك الموظفة من قبل الحرفيين في العصور الوسطى.



هندسة المناظر الطبيعية ومناطق المشاة التي أنشئت مؤخراً أمام قلعة حلب هما جزءاً من المشروع الأوسع للمحيط.